

الاستفهام في البلاغة العربية  
دراسة في البنية و الدلالة

إعداد

د. عبد الرحيم محمد الهبيل  
جامعة القدس المفتوحة- فرع خان يونس

## ملخص البحث:

يهتم هذا البحث بالاستفهام في البلاغة العربية بنية ودلالة؛ للوقوف على معمارية السؤال، وطرائق بنائه، ونظم العلاقات بين عناصره، فالاستفهام لا يختزل في أداة أو في كلمة، لأنه تركيب تنتشط عناصره ويتأثر بعضها ببعض بفاعلية الجوار والسياق، فالبلاغة العربية وعلى الرغم من اقتطاعها للشواهد البلاغية فإنها لجأت إلى السياق للتعرف على دلالات الاستفهام، بل اتخذت من السياق مجالاً واسعاً لتوليد المعاني. كما يسعى البحث إلى تفسير تعددية المعاني للاستفهام البلاغي. وقد اعتمد البحث في كل ذلك على المنهج التحليلي مع مراعاة الجانب التاريخي في تجلية مفهوم المصطلح، وبيان فاعلية السياق المعرفي للاستفهام ومن ثم تمايز التراكم وتطورها.

## مفهوم الاستفهام :

تعددت المصطلحات التي تدل على الاستفهام، ففي التراث أثر بعضهم الاستخبار، وأغلبهم فضل الاستفهام، وفي العصر الحديث حاول مصطلح السؤال أن يحقق حضوراً، لكن تداخل هذه المصطلحات في الممارسات التحليلية،<sup>(i)</sup> وتقاربها في الدلالة المعجمية التي تدور حول معاني الفهم، و التعقل، والمعرفة،<sup>(ii)</sup> جعل الغلبة للاستفهام لقدم المصطلح وانتشاره في الدراسات النحوية، كما أن طبيعة الاستفهام الذي لا يفارق الطلب في كل أحواله، وقدرته على التشكل بأشكال مختلفة، ودلالات متعددة، عملت على تسوية المصطلح وانتشاره، خاصة بعد جهود عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) حيث ظلت كتب البلاغيين المتأخرين تدور في فلك مبحثه للاستفهام على الرغم من أنها لم تكن خالصة للاستفهام، وإنما لبيان أثر التقديم والتأخير في اختلاف المعاني وتنوعها.

منذ البدايات الأولى للتأليف البلاغي لم يغادر ثعلب (ت: 391هـ) الغاية الأولية من كل استفهام حين قال في تعريفه: "الاستفهام هو طلب خبر ما ليس عندك"،<sup>(iii)</sup> كما لم يتجاوز ابن فارس (ت: 395هـ) الدلالة اللغوية للمصطلح، إذ قال: "الاستخبار - طلب خبر ما ليس عندك، وهو بمعنى الاستفهام"<sup>(iv)</sup>.

وفي مراحل التععيد لا تختلف دلالة الاستفهام كثيراً عما كانت عليه في القرن الرابع الهجري، فجميعهم يؤكد على معنى الطلب ولكن السكاكي (ت: 626هـ) يبين أن الاستفهام يتشكل في الذهن قبل أن يكون واقعا في الخارج، حيث انه قال بأنه "لطلب حصول في الذهن"<sup>(v)</sup>. بينما القزويني (ت: 739هـ) لا يجعله إلا من أنواع الطلب،<sup>(vi)</sup> أما السبكي (ت: 773هـ) فقد التفت إلى معاني الاستفهام وخصوصية أدواته حين قال بأنه: "طلب الفهم وقد يخرج عن ذلك لتقرير أو غيره وله ألفاظ"<sup>(vii)</sup>، ولكن من الغريب ألا يزيد كل من التفتازاني (ت: 791هـ) وابن يعقوب المغربي (ت: 1110هـ) شيئاً عما قاله السكاكي حيث إنهما عرفا الاستفهام بأنه "طلب حصول صورة الشيء في الذهن"،<sup>(viii)</sup> أما الدسوقي (ت: 1230هـ) فقد ذهب إلى أن الاستفهام هو طلب الفهم بأدوات مخصوصة.<sup>(ix)</sup>

وفي العصر الحديث يفسر د. محمد محمد أبو موسى المصطلح تفسيراً لغوياً فالهمزة والسین و التاء تفيد معنى الطلب، والمطلوب هو الفهم، والفهم هو حصول صورة المراد فهمه في النفس وإقامة هيأته في العقل. (x) فأشار بذلك إلى التصور الذهني للمعني وأثره في النفس . ولا يختلف د.أحمد مطلوب عن الأوائل والمتأخرين من البلاغيين فقد جمع تعريفاتهم للاستفهام وقال بأنه: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه: انه طلب خبر ما ليس عندك وهو بمعنى الاستفهام أي طلب الفهم" (xi). مؤكداً على معنى الطلب، وموضحاً أن الصورة التي يريدها السكاكي هي في الذهن علم وفي الوجود الخارجي هي شيء معلوم. (xii) أما الدكتور عيد بلبع وفي جهد تنظيري للبلاغة فقد أراد استبدال مصطلح الاستفهام بمصطلح السؤال، مجارة للدراسات الأسلوبية (xiii)، واتكاء على مقولة العسكري: "الاستفهام لا يكون إلا لما جهله المستفهم أو يشك فيه وذلك أن المستفهم طالب لان يفهم ويجوز أن يكون السائل يسأل عما يعلم وعمّا لا يعلم". (xiv) لكن هذا الجهد لم يقدر له أن يقتنع الدارسين بتجاوز مصطلح الاستفهام، للأمور؛ أولها: أن العسكري متقدم، ويعبر عن المرحلة التي لم يستقر فيها المصطلح . وثانيها: أن حديث العسكري عن السؤال والاستفهام كان في سياق الفروق اللغوية. . وثالثها : أن العسكري قال أيضاً " والسؤال والأمر سواء في الصيغة وإنما يختلفان في الرتبة فالسؤال من الأدنى في الرتبة والأمر من الأرفع فيها"، (xv) فالسؤال عند العسكري أيضاً يعبر عن حاجة المتكلم وضعفه أمام المتلقي. وآخرها : أن السؤال تردد كمرادف للاستفهام في ثنايا الممارسات التحليلية لأنواع الاستفهام .

وحيث أخذت الدراسات البلاغية الحديثة في إضاءة بنية الاستفهام وجمالياته، قال د. محمد عبد المطلب في تعريف الاستفهام بأنه " بنية طلبية تقدم صيغته (استفعال) مؤثراً على دلالاته الوضعية في (طلب الفهم) بأدوات مخصوصة". (xvi) فعمل على توثيق العلاقة بين المصطلح واللغة من جهة ، وبين رؤية البلاغيين وأفكار النحاة من جهة أخرى، كما أكد على أن الطلبية لا تفارق الاستفهام في جميع صوره وأشكاله ، وقد نص على الأدوات ليس لتميز بنية الاستفهام عن بنية الأمر كما ذهب الدسوقي في حاشيته على شرح التلخيص (xvii)، وإنما لفاعلية الأدوات في إنتاج الدلالة ، فاللبس لن يكون بين البنيتين ، لأن حركة المعنى فيهما على تضاد، حيث تتجه حركة المعنى في بنية الأمر من العمق إلى السطح، أما في بنية الاستفهام فإنها تتجه من السطح إلى العمق. (xviii) بمعنى أن المستوى السطحي هو السابق في بنية الاستفهام ، لأنه حصول ما في الخارج في الذهن، بينما يكون المستوى العميق هو السابق في بنية الأمر، لأنه حصول ما في الذهن في الخارج. (xix)

ومهما يكن من اختلاف أو توافق بين بنية الاستفهام وبنية الأمر فإن بنية الاستفهام لا تتوقف على اختيار الأداة فقط ، وإنما على التشكيل اللغوي أيضاً وعلاقته بالسياق ، وخير دليل على ذلك أن أدوات الاستفهام (الحروف والأسماء ) إما أن تكون للتصور أو للتصديق، بينما تكون همزة الاستفهام

للتصور تارة، و للتصديق تارة أخرى، مما يؤكد أن دلالة الاستفهام تتأثر بالسياق و ثقافة المتلقي مثلما تتأثر بالأداة . فما أدوات الاستفهام ؟ وما طرائق بنائه ؟ وكيف تتشكل العلاقة بين عناصره ؟ وكيف تفسر دلالاته ومعانيه التي تتكاثر بتعدد القراءات؟

#### \* التماثل والتوازن:

تركزت عناية البلاغيين بوضوح على همزة الاستفهام ،وقال فيها السبكي هي "الجديرة بالتقديم" (xx) على بقية الأدوات، لكنه لم يذكر علة ذلك ،فهل لأنها أم الباب؟ حيث إن ألفاظ الاستفهام غير الهمزة نائبة عنها" (xxi) لا يكاد يجمع البلاغيون على أنها أم الباب ، لكنها قد تتقدم على غيرها لعراقتها في الاستفهام؟ فهي الأداة التي تدور بين التصور والتصديق، فتكون للتصديق إذا دخلت على جملة اسمية رئيسة ،خيرها مفرد ،نحو: أزيد قائم؟ وحين تدخل على جملة فعلية لم يتقدم على الفعل فيها معمول من معمولاته، نحو : أضربت الولد؟، أما إذا دخلت على جملة اسمية غير مستقلة (غير رئيسة) كأن يكون خيرها جملة فعلية، نحو: أنت تزوجت؟ فإنها تكون للتصور ، و تكون للتصور أيضا إذا دخلت على جملة اسمية يتقدم فيها الخبر على المبتدأ ،نحو : أكاتب أنت أم شاعر؟ وحين تدخل على جملة فعلية يتقدم فيها معمول من معمولات الفعل عليه، كما في قولهم: أقلما أهديت إلى صديقك أم كتابا؟ ففي الجملة تقدم معمول الفعل (أقلما) على الفعل (أهديت).

وقد تزداد عناية البلاغيين بالهمزة لأنها الأداة الوحيدة التي يصلح أن تدخل على الأسماء والأفعال، على الرغم من أن الاستفهام أحق بالفعلية، (xxii) فإن (هل) لا تدخل على الأسماء إلا في حالتين:

الأولى: بتقدير فعل محذوف يفسره ما بعده،كقولك هل زيدا ضربته؟

الثانية : أن يكون المراد غرضا من الأغراض البلاغية ، كما في قوله تعالى: "فهل أنتم مسلمون" (xxiii) وقد تكون تلك العناية بهمزة الاستفهام لقوتها في الحضور حينما تكون محذوفة ؟ أو لكثرة دلالات الاستفهام بالهمزة ؟أو لمحدودية دور أدوات الاستفهام الأخرى؟ أو لعدم أصالة الأدوات الأخرى في باب الاستفهام ؟ حيث يرى البلاغيون أن هل بمعنى (قد) في الأصل، (xxiv) أو لأن الشيخ عبد القاهر الجرجاني لم يفصل القول بغيرها من الأدوات. أو لأنها تخالف سائر أدوات الاستفهام؟ فلا يجوز أن تقع بعد (أم)، (xxv) أو لأنها الأداة الوحيدة التي تدخل على الجملة المنفية ؟ كما في قوله تعالى : "إِذْ نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعَى رِبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ" (xxvi) أو لتقدمها على حروف العطف؟ كما في قوله تعالى: "أفلا تعقلون" (xxvii)، وفي قوله تعالى: "أولم يسيروا"، (xxviii) أو لتميزها في الدخول على إن الشرطية؟ كما في قوله تعالى: "إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً" (xxix).

وقد يتسرب إلى الذهن أن سر اهتمام البلاغيين بالهمزة يرجع إلى أنها تختص بالتصور، لكن السبكي يقول الهمزة "لا يختص بها تصور ولا تصديق بل تخرج عن كل منهما للآخر" (xxx)، وصاحب الأطول يرى أن الاستفهام لطلب التصديق يجب أن يكون مقدما على التصور، لأن التصور كلام ظاهري مبني

على التوسع، ولا طلب إلا في التصديق، حيث إن المحيب عن طلب التصور لا يزيد في تصور السائل شيئا، كما أن الحاصل بالجواب في نهاية المطاف هو التصديق،<sup>(xxxix)</sup> ويضيف ابن يعقوب المغربي أن التصديق لمطلق التصور، أما التصور فهو للتصور الخاص،<sup>(xxxix)</sup> إذن فالتداخل بين التصديق والتصور قائم في عمق كل سؤال، وهذا يعني أن تقديم الهمزة والاهتمام بها لا يرجع إلى سبب من هذه الأسباب فقط، وإنما لأسباب أخرى أهمها: أن الهمزة تختلف عن أدوات الاستفهام، لأن السؤال بها استفهام "بسيط مطلق غير مقيد بوقت ولا حال"،<sup>(xxxix)</sup> ولأنها ضعيفة في الإعراب، وما ضعف في الإعراب يقوى في التأثير الدلالي، بل إن "الأضعف في الإعراب أقوى في المعنى"<sup>(xxxix)</sup> فهي وإن كانت تشترك مع (هل) في كونها حرف لا محل له من الإعراب، فإنها أكثر ضعفا من (هل) "لكونها لا يختص بها تصديق"<sup>(xxxix)</sup> وهي الأضعف كذلك من سائر أدوات الاستفهام الأخرى حيث لا يختص بها تصور كما بين السبكي، لكن المستفهم عنه بالهمزة يكتسب صفة الاختصاص حيث يكون تاليا للهمزة سواء في التصور أو التصديق.

إن مجمل هذه الخصائص وإن جعلت الهمزة أكثر الأدوات تعبيرا عن بلاغة استفهام، فإنها تكشف عن منزع جمالي أيضا، حيث إن طرائق تركيب الاستفهام ونوع العلاقات بين عناصره تعتمد على قواعد وأسس بنائية هندسية تحتاج إلى تذوق وتفسير، ولعل التعيد في باب الاستفهام لا يحتاج إلى مزيد من التطبيقات فقط، وإنما هو بحاجة أيضا إلى التعليل الجمالي، حيث إن مجرد التعيد يجعل الحديث عن الاستفهام أشبه بالنحو منه بالبلاغة، بل إنه يأخذ بالبلاغة نحو الجمود حيث لا مكان للتذوق. لهذا كان لا بد أن تلتفت الدراسات إلى التشكيل الجمالي والتأثير وظلال الأسلوب وألوان الحس وما يخطر في القلب.<sup>(xxxix)</sup>

حاجة الاستفهام إلى دقة البناء والصياغة قوية، فمن الأسس البنائية الأولية التي اتفق عليها جميع البلاغيين أن المستفهم عنه يجب أن يكون تاليا للهمزة في جميع أنواع الاستفهام، وأن (أم) المتصلة لا بد أن يتلوا المعادل للمستفهم عنه إذا كانت الهمزة للتصور، أما إذا كانت للتصديق فإن (أم) ستكون منقطعة،<sup>(xxxix)</sup> فهل هذه القواعد بتأثير من النحاة؟ أم أن غايتها تتمحور في أمن اللبس لتحقيق الإفهام والوضوح؟ لم تكن البلاغة في يوم من الأيام من أجل الإفهام فقط، وإنما لو وظيفة أدبية أيضا، فالبلاغة ربيبة النص، ولهذا ظلت البلاغة تحرص على الرقي بالتركيب اللغوية والأثر الجمالي، بل إن تضافر بلاغيات الجملة مع نحوها يؤسس لجماليات يجري وراءها كل نص ويتصيدا كل قارئ.<sup>(xxxix)</sup> ففي قولهم: أجا زيد أم عمرو؟ و قولهم: ألقيت زيدا أم عمرا؟ ذهب البلاغيون إلى أنها تراكيب ليست بليغة، بل ضعيفة، وإن كانت صحيحة عند النحاة<sup>(xxxix)</sup>، لأن الأحسن في مثل هذه التراكيب أن تكون: أزيد جاء أم عمرو؟ و أزيدا لقيت أم عمرا؟ لأن هذه التراكيب كما يرتضيها النحاة تبدو غير مترابطة، فالاستفهام في المثال الأول عن المجيء، فكيف توضع خيارات للقائمين به؟ والفعل

ليس هناك ما يؤكد وقوعه، والاستفهام في المثال الثاني عن تحقق اللقاء، فكيف يتبعه أكثر من مفعول به، والفعل ما زال غير معلوم أنه قد وقع. أما قولك في المثال الأول: أزيد جاء أم عمرو؟ وقولك في المثال الثاني: أزيدا لقيت أم عمرا؟ فهذه التراكيب هي الأقوى في بيان المستهدف بالسؤال، وهي الأكثر دلالة على الترقى في ترقية التراكيب اللغوية وتطورها، وهي الأشهر والأفصح في لغة العرب،<sup>(xi)</sup> لما فيها من تقديم وتأخير ينقل الاستفهام من الاستعمال النفعي إلى الأثر الجمالي، حيث يتوسط المسند بين المسند إليه الأول (زيد) والمسند إليه الثاني (عمرو) فيتحقق التوازن بين الطرفين في الوظيفة النحوية، كما أنهما يتماثلان تماثلا تقابليا في علاقتهما بالفعل (جاء) أو بالفعل (لقيت)، وفي ضوء هذا التماثل الموقفي على حد تعبير سمويل ر. ليفن<sup>(xii)</sup> يتعادل الطرفان فيكون كل جانب معادلا للآخر في الجاذبية<sup>(xiii)</sup> ويوازيه في الأداء على نحو يحقق الراحة والهدوء<sup>(xiii)</sup> ومن ثم يتحقق التماسك والتوازن، وتكون كل بنية" استفهما واحدا لطلب التصور و(أم) فيه متصلة"<sup>(xiv)</sup>.

و إذا كان التماثل والتوازن هو العلاقة الظاهرة بين الطرفين (المستفهم عنه والمعادل)، فإن العلاقة الخفية التي تجمع بينهما في العمق تقوم على أساس من الاختلاف، فقد قال السبكي: "ولو قلت: ألهم الإكرام أم لهم الإهانة؟ لكانت (أم)متصلة قطعا فقد اتفقا في التركيب اللفظي واختلفا في المعنى قطعا".<sup>(xiv)</sup> والاختلاف هنا لا يعنى التضاد فقط، وإنما يكون بالمتشابهات أو المترادفات أيضا، ولكن التضاد أو التباين أقوى صور الاختلاف، ولذلك وافق البلاغيون سيبويه حين خالف كثيرا من النحاة وارتضى: أضربت زيدا أم قتلته؟<sup>(xvi)</sup> لما في التركيب من تماثل وتوازن بين الفعلين (ضرب/قتل) فكل منهما يقابل الآخر ويوازيه في الأداء النحوي وفي العلاقة بالمفعول به (زيدا)، حيث كان (زيدا) مركزا محوريا اجتمع على جانبيه المتعادلان، بمعنى أن زيدا قد تضرر والسائل على يقين من هذا الضرر، ولكنه متردد بين أمرين، ومثل هذا قول الشاعر:<sup>(xvii)</sup>

ولست أبالي بعد فقدي مالكا أموتي ناء أم هو الآن واقع

حيث جعل الأضداد (الموت النائي / الموت الآن) كل منها يقابل الآخر ويوازيه في عدد الألفاظ وفي تعلقهما بعدم المبالاة.

لقد حرص البلاغيون في بناء الاستفهام منذ القرن الرابع الهجري على تحقيق هندسة جمالية تتوافق مع ثقافة العصر مثلما تتوافق مع التصور العام للكلام البليغ؛ فالترقي في التراكيب يتوافق مع ثقافة الكتابة وجمالياتها، فكأن البلاغيين التفتوا في صياغة الاستفهام البلاغي إلى الانتقال العربي من حالة البداوة إلى الحضارة، فكثرة الكتابة وانتشارها دفع بالبلاغيين إلى البحث عن قواعد وأسس تغني عن لغة الجسم في المشافهة.

وأما فيما يختص بالتصور العام للكلام البليغ، فقد نظر البلاغيون للاستفهام على أنه بنية يجب أن تتوافق مع أبنية البلاغة السائدة عند العرب خاصة التشبيه الذي ملك قلوبهم، فالاستفهام يقوم في

الأساس على الجمع بين طرفين بينهما علاقة مشابهة أو تضاد ويتحقق فيه ما يتحقق من تواز بين أطراف السجع والازدواج، ولعل خير دليل على ذلك أن عبد القاهر الجرجاني قد جعل من ميزات النفي بالاستفهام أنه يكون للمستحيل بالتصوير والتمثيل ففي قوله تعالى: "أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى" (xviii) قال: "ليس إسماع الصم مما يدعيه أحد ليكون ذلك للإنكار، وإنما المعنى فيه التمثيل والتشبيه، وأن ينزل الذي يظن بهم أنهم يسمعون، أو أنه يستطيع إسماعهم، منزلة من يرى أنه يسمع الصم ويهدي العمى". (xix) "ووجه الشبه: أن كلا يطلب أمرا لا يحصل". (i)

ومنه قول عبد الله بن محمد بن أبي عيينة (ت هـ): (ii)

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري  
أطنين أجنحة الذباب يضير

حيث جعل المخاطب "كأنه قد ظن أن طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير، حتى ظن أن وعيده يضير" (iii) ووجه الشبه بين الطرفين أن كلا منهما قد ادعى دعوى كاذبة. (iii)

وفي قول امرئ القيس: (iv)

أيقنتني والمشرفي مضاجعي  
ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟

قال البلاغيون بأنه استفهام إنكاري تكديبي (v) لكننا نجد أنه بالتصوير والإيغال (كأنياب أغوال) والمشبه به أحد المستحيلات الثلاث (الغول والعنقاء والخل الوفي) للدلالة على استحالة وقوع هذا الادعاء، فالإنكار موجه للفعل لا إلى الفاعل حيث يشترط في الاستفهام الإنكاري سواء كان تكديبيا أو توبيخيا أن يكون على شاكلة الاستفهام الحقيقي في أن يكون المنكر تاليا للهمزة، ولو كان الإنكار موجها للفاعل لاتهمه بالعجز، لجاء الفاعل تاليا للهمزة ليتحقق السلب بهمة الاستفهام منذ بداية الكلام، وما تدافع قول امرئ القيس حين قال: (والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال) إلا لإثبات أنه على استعداد تام للقتال، على الرغم من استحالة وقوع ذلك الادعاء.

وقد لجأ الشاعر إلى الاستفهام الإنكاري بدلا من النفي الصريح ليكون الكلام أبلغ أثرا وأوقع في النفس، ويفاجأ السامع ويجبره على الموافقة، (vi) خاصة أن الشاعر لم يتجاهل ادعاء المخاطب (يقنتني) ليكون أقوى في الرد والنقض، حيث عمد امرئ القيس إلى النقض بالأدلة والبراهين التي تعانق الصور، وبالنفي المخبوء في أداة الاستفهام.

لا تقتصر قوة الاستفهام على تعلق عناصره بعضها ببعض، وإنما بقوة جاذبيته للصورة الفنية فالكلام قد يكون معرفة مألوفة لكن الاستفهام التصويري يبرزه في ثوب جديد، وفي هذا الإطار يكون الاستفهام تجاوزا لإجابة قديمة سهلة، (vii) كما في قوله تعالى: "ألم نريك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنينا" (viii) حيث يؤكد الاستفهام حقائق حدثت في الماضي، يعرفها موسى وفرعون والناس أجمعين. ولكن فرعون في هذه الحوارية أو الدialog بيتغي استحضار مشاهد في نفس موسى وذهنه، ليغري به ويثير مشاعره.

الوعي بقيمة التماثل والتوازن يكشف أسباب رفض البلاغيين في أن لا يؤتى بمعادل للمستفهم عنه بهمزة التصديق، حيث ذهبوا إلى أن (أم) لا تكون لا لفظاً ولا تقديراً في حالة التصديق، وإن وجدت "أم" فإنها تكون منقطعة و لا تدخل في حيز الاستفهام، لأن المراد إدراك النسبة، كما في قول جرير التميمي (ت: 110هـ):<sup>(ix)</sup>

أصبحو؟ أم فؤادك غير صاح  
عشية هم قومك بالروح

فإن (أم) وما بعدها لا قيمة لهما في حيز الاستفهام، بل إن دخول (أم) وما بعدها في حيز الاستفهام سيجعل السؤال متنافر الأجزاء، أو من باب التكرار الذي لا فائدة منه،<sup>(x)</sup> حيث إن التصديق يعبر عن جهل المتكلم بالحكم ووجود (أم) في حيز الاستفهام يدل على المعرفة بالحكم، وفي هذا تناقض، بل إن دخولها في حيز الاستفهام يلغي عمل أداة الاستفهام التي تثير الذهن وتخلق حالة من التساؤل والتردد بين إثبات الحكم ونفيه، كما أن الطرفين (المستفهم عنه وما بعد أم) سيفتقران إلى التماثل والتوازن إذا كانت (أم) متصلة، لأن (أم) في قول جرير دخلت على جملة اسمية (فؤادك غير صاح)، أما همزة الاستفهام فقد دخلت على جملة فعلية (أصبحو). فكان الانفصال هو الأقوى بين الجملتين المختلفتين في الاسمى والفعلية وغير المتساويتين في النظم.<sup>(xi)</sup>

وليس معنى ذلك أن التوازن في الاستفهام رهين همزة الاستفهام أو (أم) المتصلة، حيث أنه يتحقق بالاستفهام ب(هل) و(أم) المنقطعة أيضاً إذا حرص الشاعر على تنقية التراكيب اللغوية، وعلى تحقيق الجمال فيها، ففي قول مالك بن الربيع (ت: 60هـ):<sup>(xii)</sup>

فيا ليت شعري هل تغيرت الرحي رحي الحرب؟ أم أضحت بفلج كما هيا

نجد أن (أم) هنا منقطعة، لأن السؤال لم يكن بالهمزة وإنما ب(هل)، ولكن الشاعر استخدم فعلين (تغيرت - أضحت) بعد هل و(أم)، ليقوم توازنا بين المتماثلين في عدد المفردات ونوعها. وفي قوله تعالى "ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطنون بها" لا تكون (أم) إلا منقطعة باجتماع العقل والنقل كما قال السبكي -<sup>(xiii)</sup> للترقي من الأدنى إلى الأعلى، فاليد أشرف من الرجل.<sup>(xiv)</sup> ومع ذلك تحقق التوازن والتماثل بين الجانبين؛ فما بعد (أم) جاء مماثلاً لما بعد همزة الاستفهام في الاسم والفعل والحرف.<sup>(xv)</sup> فالجانبان يتحدان في عدد الألفاظ وترتيبها ونوعها، فالأرجل يقابلها الأيدي، ويمشون يقابلها يبطنون، و(بها) تكررت كما هي في الجانبين.

لقد كان الأجدد بجرير وهو المتأخر أن يفيد من طرائق بناء الاستفهام سواء من مالك بن الربيع أو من النص القرآني، وإن كان فقدان التوازن في قول جرير انعكاس لما في قلبه من خوف وتشنت بين ما كان يتمناه وما أصبح واقعاً بعد غلبة الأمويين على أنصاره.

وإذا كان البلاغيون قد حرصوا دوماً على كيفية بناء الاستفهام وتحرير نظام الجملة وبيان فرط دقتها ومحظوراتها،<sup>(xvi)</sup> لزيادة الترابط بين مكوناته، وتحقيق التماسك والتوازن، فإنهم أعطوا "مزيد اختصاص



لهل دون الهمزة<sup>(lxvii)</sup> لاختصاصها بالتصديق، ولا ارتباطها بالزمان، وتعلقها بالأفعال، فقد قبح البلاغيون هل رجل عرف؟ وهل زيد عرفت؟ لتعذر تقدير الفعل بخلاف (هل زيدا عرفته؟) حيث يمكن تقدير الفعل من خلال المذکور، ولأن (هل) تحن إلى الأفعال، فان رأيت الفعل في حيزها فلا ترضى إلا بمعانقته نظرا لمعناها الأصلي، وهو كونها بمعنى (قد) المختصة بالدخول على الفعل<sup>(lxviii)</sup> فيكون الكلام بمعنى قد رجل عرف، وقد زيد عرفت، ومثل هذا لا يستقيم، بخلاف قوله تعالى: "هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا"<sup>(lxix)</sup> حيث جاء الاستفهام تقريرا بمعنى التحقيق والتثبيت، فيكون المعنى قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا.

أما إذا لم يوجد الفعل في حيزها فان (هل) ستكون للاستفهام بلا شك لأنها حينئذ ستذهل عن الفعل ولا تتذكره.<sup>(lxx)</sup> وبالتالي فان العلاقة بين (هل) ومكونات الاستفهام تقوم على التضاد، إذ إن فاعلية (هل) للاستفهام لا تكون إلا "إذا كان طرفا الجملة اسمين"<sup>(lxxi)</sup> ففي قوله تعالى: "فهل انتم شاكرون"، دخلت (هل) على جملة اسمية تتناقض مع ما تنزع إليه (هل) من أفعال وصفات،<sup>(lxxiii)</sup> لتأكيد معنى الثبوت وديمومة الشكر لله، لأن طلب الشكر في الآية غير مقيد بزمن، كما أن العدول عن الأصل يدل على قوة الداعي للشكر، وكمال العناية بحصوله.<sup>(lxxiv)</sup>

وحرص البلاغيين على إقامة الانسجام بين عناصر الاستفهام في أبنية الاستفهام دفعهم إلى القول بأنه لا يجوز استبدال الهمزة ب(هل)،<sup>(lxxv)</sup> في كل موقف على الرغم من اشتراكهما في الحرفية، لأن (هل) إذا دخلت على المضارع محضت دلالاته على الاستقبال،<sup>(lxxvi)</sup> كما لا يمكن أن يسأل بها عن الماضي بخلاف الهمزة التي يسأل بها عن الماضي والحاضر أيضا، كما في قوله تعالى: " أفأنتم له منكرون"<sup>(lxxvii)</sup> حيث دلالاتها على إنكار ما كان منهم في الماضي أمر بين.

وبهذا نخلص إلى أن أدوات الاستفهام لا ينوب بعضها مناب بعض، لخصوصية كل أداة، و لنشاط عناصر الاستفهام وتفاعلها، فالاستفهام دائما في حاجة إلى الحذر والوعي عند بناءه، فالهمزة على سبيل المثال دائما تنصدر الاستفهام حتى لو اجتمع معها حرف عطف أو أداة نفي لخفة النطق بالهمزة، فهي كما يرى ابن القيم وان كانت قوية بالجهر والشدة، فإنها أقرب مواضع الصوت إلى المتكلم،<sup>(lxxviii)</sup> ولعل هذه الميزات كانت سببا في أن تكون أكثر ورودا من (هل) في القرآن الكريم،<sup>(lxxix)</sup> وأن تنصدر أيضا بعض السور المكية،<sup>(lxxx)</sup> ومطالع بعض المعلمات الشعرية.<sup>(lxxxi)</sup>

ولا ينتفي التوازن عن الاستفهام إذا خلا من (أم) المتصلة أو المنقطعة، ففي قول جرير ( 110هـ) حينما تابع مدحه للخليفة:<sup>(lxxxi)</sup>

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

تحقق التوازن بتعادل الطرفين (خير من ركب المطايا) (أندى العالمين بطون راح) فكل طرف جاء على صيغة أفعل والتمائل نشأ بينهما من خلال المواقع المتقابلة وتعلقهما ب(أليس) في بداية البيت

الشعري، فالتقرير هنا،<sup>(lxxxiii)</sup> ليس بمعنى حمل الخليفة على الإقرار بهذه الخصال (الشجاعة والكرم) ،أو للتذكير بها،<sup>(lxxxiv)</sup> ولكن للتقرير بما دخله النفي، فالنفي مخبوء في همزة الاستفهام ، فإذا ما دخلت الهمزة على جملة منفية فإن النفي في الهمزة يزداد قوة وحضورا إلى أن يزيل معنى النفي من الجملة المنفية، ولهذا قال البلاغيون " نفي النفي إثبات "<sup>(lxxxv)</sup>، فإذا كان المناهضون للخليفة ينفون عن بني أمية هذه الخصال، فإن الشاعر بهمزة الاستفهام نفي قولهم، وأثبت تلك الخصال دفعة واحدة، وبهذا حقق ثلاثة أمور أساسية : أولها: إثبات الخصال النبيلة لبني أمية والتأكيد عليها حتى يقر بها القاصي والداني . وثانيها: تسفيه المنكرين والجاحدين . وآخرها: المبالغة في الإثبات ؛ إثبات الصفات النبيلة، فأنتم خير من ركب المطايا في الحرب وأنتم أئدى العالمين في السلم. فكأن الشاعر أراد أن يقول للخليفة : لو اجتمعت الناس ضدك فأنا معك وأقر بشرعية الحكم الأموي ، فارتضى الخليفة قوله بعدما غضب منه حين قال (أم فؤادك غير صاح ) في مطلع القصيدة، وأجزل له العطاء حتى أعطاه مائة من الإبل برعاتها.<sup>(lxxxvi)</sup>

وفي قوله تعالى: "أليس الله بكاف عبده"<sup>(lxxxvii)</sup> تذكر كتب البلاغة أنه لطلب الإنكار،<sup>(lxxxviii)</sup> بمعنى أن الآية تنفي قول الجاحدين الذين ينكرون كفاية الله لعبده، فينقلب المعنى إلى التقرير<sup>(lxxxix)</sup> (التحقيق والتثبيت) بفاعلية الهمزة والباء، إذ عرضت الآية المواقف المتناقضة دفعة واحدة، فبدلا من أن يقول القرآن أن المشركين قالوا: ( ليس الله كافيا لعبده) وأن الحق يقتضي أن قولهم كاذب، فالله كاف عبده، قال الله عز وجل: (أليس الله بكاف عبده) دفعة واحدة بحوارية تسكت المجادلين وتندحض آراءهم ، لأن الهمزة سلبت النفي الذي تسلط على جملة (الله كاف عبده) ، والباء ليست زائدة كما يقول الأستاذ عبد الرؤوف اللبدي، حيث انه يقول بأنها لغرض بلاغي هو تأكيد معنى الجملة التي تضمنته على وجه الإثبات وليس على وجه النفي،<sup>(xc)</sup> فكيف تكون زائدة وهي لتأكيد الكلام؟ ثم إن التأكيد بالباء في هذه الآية وما يشاكلها في القرآن الكريم،<sup>(xci)</sup> يعمل على مستويين متضادين، وفي اتجاهين مختلفين؛ حيث إنها تؤكد معنى السلب الذي تتضمنه همزة الاستفهام فيقوى النفي بالهمزة حتى يصير معنى الجملة مثبتا بعدما كان منفيا، كما أنها تعطل ظاهريا عمل ليس في خبرها فيصير مجرورا بعدما كان منصوبا، ومن المعلوم أن الكسرة أقوى الحركات، فكأن المعنى أصبح منغرسا في القلب بقوة بعد تأكيد الجملة الاسمية (الله كاف عبده) التي تفيد في الأصل معنى الثبات والاستمرار .

وبهذا يتبين أن الهمزة إذا دخلت على جملة منفية فإن بنية الاستفهام تنقسم إلى قسمين متضادين: الأول : جملة منفية. والثاني : همزة الاستفهام التي تسلب النفي من الجملة المنفية. وباجتماع القسمين - المتماتلين ظاهريا، المتضادين في بنية العمق - ينقلب المعنى إلى ضد ما كان عليه (من النفي إلى الإثبات)، وإذا اقترن هذا التركيب بالباء المؤكدة فإن فاعلية الإثبات تزداد قوة حتى يصبح المعنى المراد إثباته أمرا مسلما به، حيث إن اجتماع الباء مع الهمزة يفرغ أداة النفي (ليس) من مضمونها المعنوي،

ومن تأثيرها الإعرابي الظاهري لخبرها(كاف)، فلا يكون أمام المتلقي سوى الإقرار بمضمون الجملة مثبتا ومؤكدا .

ومن الواضح أن بنية (أليس ) في القرآن الكريم قد تميزت بسمات جمالية ودلالية أكثر من قول جرير في مدح الخليفة الأموي، ليس لأن القرآن معجز فقط، وإنما لعجز كان في العرب الجاهليين ،فالشعر الجاهلي لم يشكل للاستفهام سياقاً(مرجعاً) وافياً في العقل العربي مثلما تشكل للتشبيه الذي أكثر منه العرب في أشعارهم ،فالمعلقات على سبيل المثال لا نجد فيها بنية (أليس)إلا مرتين،مرة على لسان طرفة بن العبد حين قال:(xcii)

يقول وقد تر الوظيف وساقها: ألسن ترى أن قد أتيت بمؤيد

ومرة حين قال الأعشى الأكبر: (xciii)

ألسن منتهيا عن نحت أثلتنا ؟ ولست ضائرها ما أظت الإبل

وهما أضعف من قول جرير لخلوهما من المديح، والتماثل والتوازن ، وقوة البناء، فالاستفهام في قول طرفة للتوبيخ على فعل قد تحقق، والرؤية (ترى) قد تكون بصرية، (xciv) والاستفهام في قول الأعشى يخلو من المديح، بل انه لا يشعر بانقطاع الذم على الرغم من أنه موجه من أعلى إلى أدنى، وإلى شخص محدد ،وليس إلى جماعة،لكن جريرا كما يبدو كان أكثر حفا من طرفة و الأعشى حين أفاد من السياق القرآني للاستفهام في إقامة بنية قوية فيها سمات جمالية .

إن ضعف العرب في إقامة بناء الاستفهام خاصة الذي تدخل فيه الهمزة على جملة منفية ب(ليس)يفسر سر ابتعاد البلاغيين الأوائل (قبل القرن الرابع الهجري)عن تحليل مثل هذه التراكيب وتدوقها، كما أنه يضيء ندرة الشاهد الشعري الجاهلي في مباحث الاستفهام .

وليس ما يقال في (أليس الله بكاف عبده) هو ما يقال في "ألم نشرح لك صدرك"(xcv)كما يذهب التفتازاني،(xcvi)لأن بنية (ألم) في القرآن الكريم لا تقال كما يبدو إلا لمخاطب معين،وفي موضوع لا يختلف فيه الطرفان (المتكلم والمتلقي)،بخلاف بنية (أليس) التي توجه لجماعة منكراً لمضمون السؤال، ولعل حواريات فرعون مع موسى تؤكد ذلك فتريبة موسى في بيت فرعون لا يختلف عليها أحد،لذلك قال الله على لسان فرعون "ألم نريك فينا"(xcvii) أما ملك مصر فاختلف النبي موسى وأتباعه مع فرعون في هذا الشأن،فقال تعالى على لسانه "أليس لي ملك مصر".(xcviii)

وبهذا نخلص إلى أن بنية (أليس) تكون للرد على منكر،أما بنية (ألم) فتكون للتذكير في أمر لا اختلاف في وقوعه،(xcix) ولذلك ليس من الصواب حين يتلى قوله تعالى: أليس الله بأحكم الحاكمين<sup>(c)</sup> أن يقال(بلى وأنا من الشاهدين)لضعف الحديث الذي يستند إليه القائل،<sup>(ci)</sup>ولأن الاستفهام ليس لطلب الإقرار، وإنما بمعنى التحقيق والتثبيت، فلماذا نضع أنفسنا موضع المسألة ،ونحن نؤمن بالمضمون

الإيجابي للآية، خاصة أن الباء في قوله (بأحكم) كان لها دور فاعل في التأكيد، وفي إفادة معنى الملازمة والاستمرار ، فالله دوماً أحكم الحاكمين.

#### الحضور والغياب:

ليس لتعددية المعاني في أسلوب الاستفهام علاقة بالمجاز، لأن القول بأن الأداة مجازية فيه تكلف وتجاوز للواقع، فالاستفهام لا يقوم على أداة فقط ، وإنما على مجموعة عناصر تتضافر في تشكيل البنية والدلالة ، يقول الجرجاني " واعلم انك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك" (cii) ولأن الأداة كما يقول د. محمد أبو موسى " لم نطمئن إلى أنها في هذه المعاني مجاز لبقاء الاستفهام قويا وراء كل معنى من هذه المعاني" (ciii). ولأن عبد القاهر والزمخشري لم يتكلموا بهذا الشأن ، وأما العلماء الذين قالوا بالمجاز أو الكناية فقد تكلفوا في هذا الأمر أشد التكلف ، حيث الأولى اعتبار أنها من مستتبعات التراكيب، وخاصة أن اللفظ في المجاز ينقل من معناه إلى معنى آخر بينهما علاقة مشابهة لا إلى جملة معان. (civ) كما يحدث في الاستفهام غير الحقيقي، وإضافة إلى ذلك فإن طبيعة الاستفهام البلاغي، فالاستفهام البلاغي إما أن يكون في سياق أدبي ، أو يكون قائله أكثر علماً من المتلقي ، وفي الحالتين ينقلب حال المتلقي من مفيد للمتكلم إلى ساع وراء معرفة كامنة في بنية الاستفهام ومتوارية في سياق نص بلاغي ، فالاستفهام البلاغي لا يمتد إلى المتلقي ولكن يرتد إلى ذاته فيصبح متحكماً بالمعنى ، لاعتماده على أنظمتها اللغوية الخاصة بسياقه اللغوي ، (cv) لهذا ليس غريباً أن تتعدد المعاني وتختلف باختلاف أنواع السياق ، فالاستفهام غير الحقيقي (البلاغي) لا يطلب من المتلقي إلا أن يجتهد دوماً في التفسير والتحليل وفق مفهومين أساسيين هما : فاعلية السياق، (cvi) و سلطة حضور الغائب ، وليس معنى ذلك أن المعاني بعيدة عن الذوق الأدبي، بل إن اللبدي يقول " إن هذه المعاني البلاغية التي تخرج إليها أدوات الاستفهام من تشويق وتعجيب وتقرير وإنكار وغير ذلك إنها تخضع للذوق الأدبي الشخصي وليس لها قواعد موضوعية يمكن أن يحتكم إليها، وبسبب من هذا جاءت الآراء مختلفة" (cvii) لكن مهما كثرت المعاني فإنها تدور في فلك الطلب، فالتقرير على سبيل المثال يبتغي الإثبات ، والإنكار ينفي ما هو قائم ، والتعجب يكون لعدم استقرار المعنى في النفس، والتوبيخ لتجاوز مفهوم يفترض أن يكون راسخاً في النفس ، فالاستفهام البلاغي يظل في إطار الأضداد (الإثبات والنفي) مهما كثرت صورته ، حتى ولو كان للتذكير فإنه سيكون من أجل تثبيت معنى يكاد ينساه المتلقي، وقد قال عبد القاهر الجرجاني "وجملة الأمر، أن المعنى في إدخالك حرف الاستفهام ، على الجملة من الكلام، هو أنك تطلب أن يققك في معنى تلك الجملة ومؤداها على إثبات أو نفي". (cviii)

كل التراكيب بمختلف الأدوات الاستفهامية تحمل كثيراً من المعاني ، بل إن الأداة قد تطرح مجموعة من الأسئلة في بنية العمق ، لا يكشف عنها إلا إجابة المتلقي ، ولعل الحوار الذي دار بين

موسى وفرعون في قوله تعالى : وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ \* قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ \* قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ \* قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ \* قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ<sup>(cix)</sup> يكشف عن هذا البعد، في الأداة (ما) فحينما سمع فرعون من موسى قوله تعالى : "إنا رسول رب العالمين"<sup>(cx)</sup> سأل ب(ما) التي تحتمل أن تكون للسؤال عن الجنس أو الوصف فقال " وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ " فأجاب موسى عن الوصف وليس عن الجنس لعلمه بالله فقال " رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ " وهو " رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ " فلما لم يتطابق السؤال والجواب عند فرعون " قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ " " إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ " حيث إن فرعون كان يسأل عن الجنس بمعنى أي أجناس الأجسام هو ؟ لجهله بالله ، فلما وجدهم موسى غير عاقلين لما يقول قال : " رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون "<sup>(cxi)</sup>. ذلك ان كان سؤال فرعون عن الجنس، أما إذا كان سؤاله عن الوصف كما قال السكاكي فان ذلك لكون فرعون قد ادعى الربوبية<sup>(cxii)</sup> لما قال " أنا ربكم الأعلى "<sup>(cxiii)</sup>، ولأنه رد على موسى " لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين "<sup>(cxiv)</sup>.

وحين السؤال عن جنس الأعلام تستخدم (من) فإذا ما قلنا (من جبريل؟) تطرح بنية العمق تمعدا صياغيا يفصح عن الوظيفة الإنتاجية للأداة،<sup>(cxv)</sup> حيث تكون: جبريل بشر أم ملك أم جني؟<sup>(cxvi)</sup> ومنه قوله تعالى ،حكاية عن فرعون : "فمن ربكما يا موسى"<sup>(cxvii)</sup> حيث أراد : "من ما لكما ومدبر أمركما؟ أملك هو أم جني أم بشر؟ منكر لأن يكون لهما رب سواه لادعائه الربوبية لنفسه، ذاهبا في سؤاله هذا إلى معنى ألكما رب سواي، فأجاب موسى بقوله: "ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى"<sup>(cxviii)</sup> كأنه قال: نعم، لنا رب سواك، وهو الصانع، وإذا تفكرت فانك تعترف بكونه ربا ، وأن لا رب سواه ، وأن العبادة له مني ومنك.<sup>(cxix)</sup>.

ولا شك أن همزة الاستفهام تشترك في صفات عديدة مع أدوات أخرى للاستفهام ، حيث تحل (أي) بدلا منها في حالة التصور ، بل قيل "وما من استفهام إلا يمكن أن يقال معه الأداة (أي) ،لكن فساد المعنى يمنع هذا الرأي .<sup>(cxx)</sup>

وإذا كان السؤال بالأداة (أنى) -التي تختص بالدخول على الفعل- فإنها تؤدي مهمتها بالارتداد إلى العمق لتحتمل معنى كيف، وأحيانا معنى (من أين) كما في قوله تعالى: "يا مريم أنى لك هذا"<sup>(cxxi)</sup> فان المعنى يرتد في العمق إلى: من أين لك هذا الرزق يا مريم؟ أما في قوله تعالى: "فأتوا حرثكم أنى شئتم"<sup>(cxxii)</sup> فان المعنى يرتد في العمق إلى فأتوا حرثكم كيف شئتم.<sup>(cxxiii)</sup>

وإذا كان السؤال بالأداة (كم)، كما في قول الفرزدق (ت: 110 هـ):<sup>(cxxiv)</sup>

كم عمةٌ َِّوُّ ، لك يا جرير، وخالة فدعاء قد حلبت على عشاري

فانه يكون حقيقيا لمن روى بنصب المميز ،<sup>(cxxv)</sup> أو برفعه بمعنى: كم مرة عمة لك يا جرير حلبت علي عشاري، فعمة هنا مبتدأ، و(كم) ظرفية أو مصدر وتمييزها محذوف، أما إذا روى بخفض

عمة، فان (كم) تكون استفهامية استفهام تهكم، وتتخذ معنى التكثير والمبالغة،<sup>(cxxvi)</sup> ولا يراد حينئذ طلب الإجابة، وإنما طلب الإذعان والموافقة، حيث إن خفض التمييز يسد على المتلقي منافذ الرفض، بل يلزمه بالموافقة والإذعان، ومن ثم فان الفرزدق إن قصد بالاستفهام معنى التكثير والمبالغة، فقد تحقق له إلزام جرير بالموافقة ومن ثم الذم المؤكد له.

وكما يبدو فان الفرزدق لا يختلف عن جرير، حيث إن الفرزدق لم يفد أيضا من السياق القرآني في استخدام (كم) التي يراد منها التكثير، حيث إن تمييزها في القرآن الكريم لم يكن إلا مجرورا ب(من) حتى يكون المعنى خالصا للتكثير، ومؤكدا على إمكانية حدوثه في المستقبل، (فكم) تسرد ما وقع كثيرا في الماضي، لتؤكد وقوعه في المستقبل إن تهيأت له الظروف، كما في قوله تعالى: " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة"<sup>(cxxvii)</sup>.

قد تتعدد المعاني بالتوجيه الإعرابي كما في البيت السابق للفرزدق، لكن هذا التوجيه لا يحقق الغاية بعيدا عن معونة القرائن والتتخيم، فالاستفهام الحقيقي يحتاج إلى نغمة مرتفعة، أما الاستفهام البلاغي فان النغمة فيه مستوية، لكن تكتسب عدة معان بمعونة القرائن واختلاف المواقف، فقد تكون للاستبطاء، إذا قلت : كم دعوتك؟، وقد تكون للإنكار إذا قيل : كم تدعوني؟، كما أنها قد تكون للتهديد إذا قلت: كم أحلم.<sup>(cxxviii)</sup>

قد تبدو معاني الاستفهام أحيانا متعارضة في الظاهر، لكنها تشهد بقوة الاستفهام وقدرته على تشكيل المعاني بمشاركة المتلقي، فدور المتلقي لا يقل شأنًا عن السياق اللغوي في صناعة المعنى، فهو المستهدف بالاستفهام، وهو الأقدر على بث الحياة فيه، بل الأقدر على تفعيل نشاطه. ففي قول الشاعر:<sup>(cxxix)</sup>

أترك إن قلت دراهم خالد  
زيارته ؟ إنني إذا للئيم

تقول الكتب البلاغية إن الاستفهام للتكذيب، بمعنى لا يكون منى أن أترك زيارته إن قلت دراهم خالد<sup>(cxxx)</sup>، لكن هذا المعنى يستدعي معان عدة أهمها؛ التعريض والمدح، التعريض بمن يفعل ذلك، ولهذا قال الشاعر ( إنني إذا للئيم ) ، والمدح لمن يواصل زيارة صديقه إن قلت دراهمه.

وفي قوله تعالى: "أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا"<sup>(cxxxi)</sup> يذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أن الاستفهام في الآية الكريمة إنكاري، حيث إن الإنكار قد يكون للفاعل أو الفعل من أصله،<sup>(cxxxii)</sup> ويتفق كل من السكاكي والقزويني على أنه إنكاري للتكذيب في الماضي؛ بمعنى: لم يكن؛<sup>(cxxxiii)</sup> " فهل حقيقة أن هذا الاستفهام إنكاري تكذبي فقط ؟ أم أنه يمتد إلى معان أخر؟ لقد قال تعالى : " وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْفَلَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا \* أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا \* وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا \* قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا \* سُبْحَانَہُ وَتَعَالَىٰ

عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا".<sup>(cxxxiv)</sup> أي أن الاستفهام جاء في سياق بيان وحدانية الله - تعالى - ونفي تعدد الآلهة في إطار التهديد والوعيد، وكذلك التقرير والتوبيخ لافتراءهم هذه الفرية على الله - تعالى - لذلك قال تعالى في نهاية الآية: "إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا"، فهذا استعظام للقول الباطل الذي قالوه . إن تقييد المعنى بالتكذيب كغرضٍ للاستفهام في هذه الآية الكريمة لا يكشف أبعاد الاستفهام؛ بل يخفي وجوه الهمة وفاعلية السياق، لأن معنى التكذيب غير كافٍ للتعبير عن المراد، لأنهم يعتقدون هذه الفرية ويكفرون بالحق، لهذا وجب أن يقترن التكذيب بالتقرير، إذ كيف يفترن على الله الكذب باتخاذ الأبناء سواء أكانوا من الذكور أو البنات؟ كما يجب أن يقترن التكذيب بالتوبيخ، لأنهم يقولون ما لا يعلمون، فهل شهدوا خلق الملائكة؟ وهل عرفوا طبيعة خلق الملائكة؟ ثم كيف ينسبون إلى الله ما لا يرضونه لأنفسهم؟ فقد قال تعالى عنهم: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ \* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ".<sup>(cxxxv)</sup> وفي قوله تعالى: "فَاسْتَفْتِهِم أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ \* أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ \* أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ \* وَلَدَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ \* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ \* أَقَلًّا تَذَكَّرُونَ".<sup>(cxxxvi)</sup> فهذه الآيات نفيض بالسخرية والتهمك و التوبيخ للذين زعموا أن الملائكة إناثاً ، فالآيات و جرياً مع عادة العرب في ازدراء البنات تنكر عليهم : كيف اصطفى البنات على البنين؟ ! "أَلَا إِنَّكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ \* تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ"<sup>(cxxxvii)</sup>. كما أن الآيات فيها تهديد ووعيد ، "إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا" فمن يفترى مثل هذه الفرية لا يرد عليه بمجرد التكذيب، بل بالتهديد والوعيد إلى أن يعود إلى رشده ،أو يعاقب عقاباً شديداً .

إن حركية المعنى تتأثر بجهود المتلقين على تراخي الزمن وتقدمه مثلما تتأثر بثقافة المتلقي الواحد، وكثرة ما يورده من معانٍ يحتملها التركيب أو النص ، كما أن المعاني قد تتوالد وتتمايز بالتنعيم أيضاً، وبما يكون من مواقف، بل إن لغة الجسد وتوالي القراءات عبر العصور قد تحاكي السياق اللغوي في توفير فضاء تتألف فيه الأضداد، فقول جرير (ت: 110هـ):<sup>(cxxxviii)</sup>

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

قالت كتب البلاغة إن الاستفهام للتقرير، لكن كيف لو ألقى أعداء الخليفة هذا البيت الشعري بنبرة تشير إلى الإنكار؟ أو بقسمات توحى بالسخرية، أو بحركات تشي بالذم ،لظنهم بأن جريراً قد مدح بني أمية بما ليس فيهم ، وكيف لو عرف العرب رجلاً بخيلاً أو جباناً من بني أمية وأعادوا إنشاد هذا البيت ؟ ألا يكون هجاء مقذعاً؟ .

قد يكون تعدد معاني الاستفهام محاولة للإحاطة بالمعنى أو السيطرة عليه لبلاغة الاستفهام وخفاء دلالاته،<sup>(cxxxix)</sup> ولكن من زاوية أخرى فإنها تؤكد حضور معنى الطلبية بمعنى طلب مشاركة المتلقي في كل زمان ومكان في تشكيل المعنى وصناعته، حيث إن المعاني التي يفجرها السياق في زمن ما، هي

مشروع لمعان عدة تتوالى بجهود الآخرين، بل إنها تمهد الطريق لتذوق جديد، وقراءة أخرى، لكن مهما تعددت معاني الاستفهام البلاغي فإنها "تبقى سوانح خفية أشبه بالأسرار الغامضة التي تجري في النفس جريانا خفيا تحسها ولا تستطيع وصفها، لأنه طريق كما ترى وعر مسلكه" (cxl)، فإذا ما قيل أن الاستفهام يفيد التقرير مثلا، فانه قول ناقص في كثير من الحالات، لأنه شئ يختلف عن محض التقرير وإن أفاده، وإلا لكانت وسيلة التقرير هي طريقة أدائه (cxli)، ففي قوله تعالى: " أنت فعلت هذا بأهنتنا يا إبراهيم" (cxlii) قد يكون المراد من الاستفهام هو طلب الإقرار بأن إبراهيم هو الفاعل، وقد يحضر الغائب لتحقيق التوازن النفسي فيكون التقدير (أم غيرك) فقال لهم: " بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون" (cxliii) وقد يكون المراد الإنكار و التوبيخ؛ إنكار له لم كان، و توبيخ للفاعل، كما ذهب الشيخ عبد القاهر الجرجاني. (cxliii) وقد يكون اللوم والتعجب بمعنى؛ كيف تصنع هذا وأنت منا؟ وكيف تمكنت من تكسيها؟، وقد تحتل أيضا التهديد بمعنى إن كنت قد فعلت ذلك فستلقى عقابا، وقد فعلوا ذلك، وقد يكون الاستفهام حقيقيا كما قال القزويني، (cxliii) لكن من المؤكد أنهم لم يطلبوا منه الإقرار بوقوع التكسير، لأن تكسير الأصنام قد حصل و مشاهد أمامهم، ولذلك أشاروا إليه بقولهم (هذا). (cxliii).

وبالمفاضلة بين رأي القزويني والسكاكي في الآية السابقة، نجد أن من الأفضل كما يبدو من عناصر هذا الاستفهام أن نقول بأنه للتصور كما رأى السكاكي، لتقديم لفظة (أنت) على الفعل، فالتقديم يمهد الطريق للتصور، ولا يتيح لإبراهيم حرية الإجابة على نحو مطلق، إذ لا مجال للنفي المطلق، لأن الحدث واقع مشاهد، وبالتالي ظهر في السؤال مجموعة من المعاني، أهمها الاستعلاء والتضييق والإلزام، فحذف (أم) المعادلة من الاستفهام لم يكن للاختصار في محاوره عدوهم فحسب، وإنما بغرض سد الخيارات أمام إبراهيم أيضا، ومن ثم التضييق عليه والزامه بالاعتراف، ومن هنا ظهر استعلاء قومه خاصة أنهم قالوا (فعلت) ولم يقولوا عملت، فكأنهم أرادوا أن عمل إبراهيم كان انفعاليا لاعقلانية فيه، فالقوم لا يبتغون من السؤال طمأنة قلوبهم، وإنما إصاق التهمة بإبراهيم، وإن كان الشك يراودهم، فقولهم لم يصل إلى درجة اليقين التي ساورت أخوة يوسف حين قالوا: "أأنك لأنت يوسف" (cxliii) حيث إنهم أكثر من المؤكدات دفعا للنفي المخبوء في الاستفهام. أما قوم إبراهيم فقد ظل الشك والريب في قلوبهم، ولكنهم حاولوا التظاهر بالتماسك النفسي من خلال قولهم (يا إبراهيم) بعد الضمير (أنت)، ويقولهم (فعلت) لإظهار سوء عمله وعدم التفكير بعواقبه، وإن كنا نفهم نحن المسلمين أن لفظة (فعلت) تعبر عن قوة التكسير وسرعته، فقوله تعالى: (فعلت) تتناسب مع ظن الكافرين في زمان إبراهيم مثلما تتناسب مع مفهوم الإيمان في الإسلام حيث إن عمل إبراهيم صدق بقوة ما وقر في قلبه.



## النتائج :

- الاستفهام بنية طلبية ذات بناء هندسي جمالي، تتكاثر معانيه بحسب قوة بنائه، وثقافة المتلقي، وسياق الموقف الذي يزداد نشاطا بتوالي العصور. وهو بنية ذات فاعلية وحضور في الكلام، وتزداد حاجة الإنسان إليه في الجدل والهجاء، وفي التوافق والمديح.
- العلاقات الظاهرية بين عناصر الاستفهام تتخذ من التماثل والتوازن سبيلا للركي بالتراكيب، فالتلقي السماعي أو الإنشاد التفتت إلى أدنى درجات الجمال، ومجد البداوة والبساطة، أما التلقي البصري فقد اعتنى بالتوازي ودقة البناء، وأعلى من شأن الذوق الخاص. أما العلاقات الخفية بين عناصر الاستفهام فهي تقوم على الاختلاف والتضاد.
- ليس للمجاز علاقة بالاستفهام البلاغي لبقاء معنى الطلب في حنايا أبنية الاستفهام، ولكثرة معاني الاستفهام البلاغي، ولأن الأدوات تحتاج إلى دقة في الاستخدام، حيث لا تتوب أداة مناب أداة أخرى، كما أن الأداة في الاستفهام ليست سوى إحدى مكونات بنية الاستفهام، الذي تترابط فيه العناصر مع بعضها لتشكيل المعنى وفق أسس بنائية جمالية تتميز بالإيجاز، من أجل الدقة في التواصل والحوار.
- اجتماع همزة الاستفهام والباء في الاستفهام المنفي يزيد في فاعلية الإثبات حتى يصبح المعنى المراد إثباته أمرا لا جدال فيه، حيث إن الباء تساعد الهمزة في تفرغ أداة النفي من مضمونها المعنوي، ومن تأثيرها الإعرابي الظاهري أحيانا كما في خبر (ليس).
- التقرير في بنية (ليس) يختلف عن التقرير في بنية (ألم) لأن (أليس) تأتي للرد على إنكار وجود يستغرق جميع الأزمنة، أما بنية (ألم) فتكون للتذكير في أمر قد وقع في الماضي.
- تتعدد المعاني في الاستفهام، وتنبأين في تجليها، ويزيد في تكاثرها ذوق المتلقي، وخمول الأدوات إذا كانت حروفا، ولكن مهما كثرت معانيه فإنها تتقاطع وترتبط ارتباطا واضحا بمعنيين أساسيين هما النفي والإثبات.
- الحضور والغياب في بنية الاستفهام لا يكون على مستوى الدلالة، وإنما يمتد إلى عمق التركيب، حيث إن الإيجاز سمة من سمات السؤال، فالبنية الظاهرة للاستفهام تستدعي كثيرا من الأسئلة الخفية، والتعرف إليها لا يكون إلا بالتأمل.
- تعدد القواعد في باب الاستفهام وتباين الشواهد البلاغية والتركيز على بعض المعاني، لا يكون قيما للفكر والتذوق، وإنما مدخل لمعان وليدة، وتفسيرات جديدة، ولهذا فان معاني الاستفهام في حاجة دائمة إلى الشرح والتفسير والتعليل، وليس إلى التأطير والتصنيف والتعديد.

- تتناغم بنية الاستفهام مع بناءات الكلام البليغ، فسمات التأكيد وخفاء المعاني وتجليها تجعل الاستفهام ينسجم مع كل أنواع الكلام البليغ، كما يتفق الاستفهام مع التشبيه في أن كلا منهما يتخذ من الأدوات والتماثل بين الطرفين سبيلا لبنائه الفني، وإذا كان البناء الظاهري للاستفهام يقوم على التوازي بين طرفي الاستفهام (المستفهم عنه والمعادل)، فإن ذلك يؤكد أنه لا يفارق سبل بناء السجع والازدواج ورد العجز على الصدر.
- تتفق أنواع الاستفهام في كثير من الأسس البنائية، لكن أدواته لا ينوب بعضها مناب بعض، فكل أداة لها موضع خاص في البناء، وعلاقة مميزة بعناصر الاستفهام، إذ تبرز قوة الاستفهام في قوة العلاقة بين عناصره، وفي تأثيره على المتلقي، حيث إن قوة الاستفهام تتأثر بالصدق الشعوري، مثلما تتأثر بطريقة البناء، بل إن البناء التركيبي هو انعكاس لشعور المتكلم وأحاسيسه.

## هوامش البحث ومراجعته:

- <sup>i</sup> انظر: عبد القاهر الجرجاني (1992م): دلالات الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، القاهرة و جدة، دار المدني ص: 111-141 .
- <sup>ii</sup> ( الاستفهام في اللغة هو الفهم بالقلب، و التعقل، و السؤال والمعرفة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، مادة فهم.
- <sup>iii</sup> ثعلب أبو العباس أحمد (1996م): قواعد الشعر شرحه وعلق عليه د. محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ص: 25.
- <sup>iv</sup> ( ابن فارس، أحمد بن زكريا: الصحابي في فقه اللغة، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، ص: 181.
- <sup>v</sup> ( السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (1983م): مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ص: 304 .
- <sup>vi</sup> (انظر: القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ص: 131.
- <sup>vii</sup> ( السبكي، بهاء الدين، عروس الأفرح ضمن شروح التلخيص، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ص: 2/246.
- <sup>viii</sup> انظر: التفتازاني، العلامة سعد الدين مسعود بن عمر (2001م): المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق د. عبد الحميد هندواي، بيروت، دار الكتب العلمية، ص: 409. وابن يعقوب المغربي، ومواهب الفتح ضمن شروح التلخيص، ص: 2/246.
- <sup>ix</sup> انظر: حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص: 2/246.
- <sup>x</sup> (دلالات التراكيب دراسة بلاغية (1987م): الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة هبة، ص 203-204.
- <sup>xi</sup> ( أحمد مطلوب (1996م): معجم المصطلحات البلاغية وتطورها الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ص: 109.
- <sup>xii</sup> انظر: الدسوقي، حاشية الدسوقي: 2/247.
- <sup>xiii</sup> انظر: د. عيد بلبع (1997م): أسلوبيية السؤال، مجلة كلية الآداب جامعة المنوفية، العدد 28.
- <sup>xiv</sup> (العسكري، أبو هلال (1997م): الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، الطبعة الأولى، القاهرة، دار العلم والثقافة، القاهرة، ص: 37.
- <sup>xv</sup> (المرجع نفسه، ص: 37.
- <sup>xvi</sup> ( البلاغة العربية قراءة أخرى (1997م): الطبعة الأولى، القاهرة، الشركة المصرية لونجمان، ص: 284.
- <sup>xvii</sup> انظر: الدسوقي، حاشية الدسوقي، ص: 2/246.
- <sup>xviii</sup> انظر: محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص: 285.
- <sup>xix</sup> انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 304.
- <sup>xx</sup> ( السبكي، عروس الأفرح، ص: 2/247.
- <sup>xxi</sup> (المرجع نفسه، ص: 2/247.
- <sup>xxii</sup> (انظر: ابن عربشاه، العلامة إبراهيم محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (2001م)، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم 573/1، تحقيق د. عبد الحميد هندواي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ص: 1/573.
- <sup>xxiii</sup> (سورة هود: 14، سورة الأنبياء: 108.
- <sup>xxiv</sup> انظر: القزويني، الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب (1904م): التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه الأستاذ عبد الرحمن اليرقوقي، القاهرة، دار الفكر العربي، ص: 156. التفتازاني، المطول، ص: 412.
- <sup>xxv</sup> انظر: المرجع نفسه، ص: 153. (والكلام للشارح).
- <sup>xxvi</sup> (آل عمران: 124 .
- <sup>xxvii</sup> ( البقرة: 76 .
- <sup>xxviii</sup> (الروم: 9.
- <sup>xxix</sup> ( النازعات: 11.
- <sup>xxx</sup> (عروس الأفرح، ص: 2/251.
- <sup>xxxi</sup> (انظر: ابن عربشاه، الأطول، ص: 1/573.
- <sup>xxxii</sup> انظر: السبكي، عروس الأفرح، ص: 2/251 .

- xxxiii ( ابن القيم الجوزية , بدائع الفوائد تحقيق علي بن محمد العمران, دار عالم الفوائد, ج1ص:352
- xxxiv ( عبد الحكيم راضي (1980م): نظرية اللغة في النقد العربي نظرية اللغة في النقد العربي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص: 273.
- xxxv ( السبكي، عروس الأفراح، ص: 252-2/251.
- xxxvi ( انظر: محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكم دراسة بلاغية، ص: 215.
- xxxvii ( انظر: الجرجاني، دلالات الإعجاز، ص: 113.
- xxxviii ( انظر: عبد الله الغدامي (1985م): الخطيب والتكفير من البنيوية إلى التشرحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، الطبعة الأولى، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ص: 53.
- xxxix ( انظر: السبكي، عروس الأفراح، ج: 2، ص: 254-253.
- xl ( انظر: محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكم، ص: 209.
- 79، ص: 18م): التوازي ولغة الشعر، مجلة فكر و نقد، السنة الثانية، عدد 1999 ( انظر: محمد كنوني<sup>li</sup>)
- lii ( روز غريب (1983م): النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر اللبناني، ص: 25.
- liiii ( انظر: المرجع نفسه، ص: 25-24.
- xliv ( عروس الأفراح، ص: 2/247.
- xlv (المرجع نفسه، ج: 2، ص: 248-247.
- xlvi (ذهب كثير من النحاة إلى أن (أم) لا تكون معادلة لهزمة الاستفهام إلا إذا اشتمل السؤال على فعل واحد. انظر: محمد عبد الخالق عزيمة، دراسات لأسلوب القران الكريم، القاهرة، دار الحديث، ج: 1، ص: 403.
- xlvii ( عروس الأفراح، ص: 2/247.
- xlviii ( الزخرف: 40
- lix ( الجرجاني، دلالات الإعجاز: 120.
- l ( عبد الهادي العدل، دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر الجرجاني في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير، ضبطها وعلق عليها عبد السلام سرحان، القاهرة، دار الفكر الحديث، ص: 267 ..
- li ( المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر، ج: 2، ص: 34.
- lii ( عبد القاهر الجرجاني، دلالات الإعجاز، ص: 121.
- liiii ( انظر: عبد الهادي العدل، دراسات تفصيلية، ص: 268.
- liv (امرؤ القيس (1983م): ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ص: 125.
- lv (انظر: الجرجاني، دلالات الإعجاز، ص: 119. والقزويني، الإيضاح، ص: 139.
- lvi ( انظر: الجرجاني، دلالات الإعجاز، ص: 120-119. وعبد الهادي العدل، دراسات تفصيلية، ص: 265. وعبد العاطي علام (1997م): دراسات في البلاغة العربية، الطبعة الأولى، بنغازي منشورات جامعة قاريونس، ص: 60.
- lvii ( انظر: محمد بدوي (1981م): واحد وعشرون بحرا أحمد دحبور، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الرابع، ص: 253.
- lviii (الشعراء: 18.
- lix (محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، شرح ديوان جرير، الطبعة الأولى، مصر، المكتبة التجارية، ص: 96.
- lx ( انظر: عبد الهادي العدل، دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر الجرجاني، ص: 245. وفضل حسن عباس (1977م): البلاغة العربية فنونها وأفنانها علم المعاني، الطبعة الرابعة، إربد، دارا لفرقان، ص: 180.
- lxi (انظر: محمد عبد الخالق عزيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج: 1، ص: 395-394.
- lxii ( مالك بن الربيع، ديوان مالك بن الربيع، تحقيق د. نوري حمودي القيسي، مسئل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 15، ج: 1، ص: 94.
- lxiii ( عروس الأفراح، ج: 2، ص: 248.
- lxiv (عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (1992م): خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة، ج: 2، ص: 121.
- lxv (انظر: عبد القادر حسين (1977م): فن البلاغة، الطبعة الأولى، القاهرة، الحلمية الجديدة، مكتبة الآداب، ص: 126.
- lxvi ( محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكم دراسة بلاغية، ص: 215.

- lxvii (السكاكي, مفتاح العلوم, ص:309.
- lxviii ( انظر: التفتازاني, المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم, ص:412. و الدسوقي, حاشية الدسوقي, ج:2, ص:260.
- lxix ( الإنسان: 1
- lxx ( انظر: ابن يعقوب المغربي, مواهب الفتح ضمن شروح التلخيص, ج:2, ص:261-260.
- lxxi ( الدسوقي, حاشية الدسوقي, ج:2, ص:260.
- lxxii (الأنبياء:80
- lxxiii ( انظر: التفتازاني, المطول, ص:414. ومحمد محمد أبو موسى, دلالات التراكيب دراسة بلاغية, ص:215.
- lxxiv ( انظر: عبد القادر حسين, فن البلاغة, ص:132-131. وفضل حسن عباس, البلاغة العربية فنونها وأفانها, ص:185.
- lxxv ( القزويني, التلخيص, ص:157.
- lxxvi ( التفتازاني, المطول, ص:414.
- lxxvii ( الأنبياء:50
- lxxviii (بدائع الفوائد, ج:1, ص:309.
- lxxix ( لم ترد (هل) في القرآن الكريم إلا 85 مرة, أما همزة الاستفهام فقد فاقت هذا العدد بكثير, فقد وردت ما يقارب 519 مرة, أما مجموع أنواع الاستفهام 1260 مرة.
- lxxx ( انظر: الشرح:1, والفيل:1
- lxxxi ( انظر: على سبيل المثال معلقة زهير بن سلمى.
- lxxxii ( الصاوي, شرح ديوان جرير, ص:98.
- lxxxiii ( الإيضاح, ص:140.
- lxxxiv ( انظر: د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة (1984م): من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني, الطبعة الثانية, بيروت, عالم الكتب, ص:114.
- lxxxv ( الإيضاح, ص:140.
- lxxxvi (أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن, تحقيق د. فؤاد سزكين, الطبعة الأولى, القاهرة, الخانجي, ص:184-183.
- lxxxvii (الزمر:36.
- lxxxviii ( انظر: القزويني, الإيضاح في علوم البلاغة, ص:140.
- lxxxix ( انظر: القزويني, التلخيص, ص:166.
- xc ( انظر: عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي (1992م): همزة الاستفهام في القرآن الكريم, الطبعة الأولى, عمان, ص:220, 242, 241
- xci ( انظر: على سبيل المثال: قوله تعالى: "أليس الله بأحكم الحاكمين" التين:8
- xcii ( الزوزني, القاصي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين: شرح المعلقات السبع, الطبعة الأولى, بيروت, منشورات دار مكتبة الحياة, ص:121
- xciii (المرجع نفسه, ص:318.
- xciv ( البغدادي, عبد القادر بن عمر (1977م): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب, تحقيق عبد السلام محمد هارون, الطبعة الرابعة, القاهرة, مكتبة الخانجي, ص:3/152.
- xcv ( الشرح:1
- xcvi ( انظر: التفتازاني, المطول, ص:422.
- xcvii (الشعراء:18
- xcviii (الزخرف:51
- xcix (لم ترد بنية (الم) في الشعر الجاهلي إلا مرتان, مرة حين قال لبيد: أولم تكن تدري نوار بأنني ... ومرة أخرى في البيت المشهور للنابغة: (الم تر أن الله أعطاك سورة... الزوزني, شرح المعلقات السبع, ص:304, 182.
- c (التين:8.
- ci ( انظر: الألباني (1988م): ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير), الطبعة الثالثة, بيروت, المكتب الإسلامي, ص:834.
- cii ( الجرجاني, دلائل الإعجاز, ص:55.
- ciii (دلالات التراكيب, ص:216.

- civ ( انظر: محمد محمد أبو موسى (1988م): البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة وهبة، ص: 302-300.
- cv ( انظر: عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، ص: 32.
- cvi ( هناك أنواع للسياق هي السياق اللغوي يعني اختيار الألفاظ المناسبة للسياق، وأما السياق العاطفي فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً، وأما سياق الموقف فيعني بالموقف الخارجي أو المناسبة التي يعبر عنها النص، وقد عرف البلاغيون هذا النوع من السياق حين قالوا: لكل مقام مقال، ويتأكد لهم على ضرورة مراعاة مقتضى الحال، وأما السياق الثقافي فيقتضي تحديد البيئة الثقافية التي ينتمي إليها المدع والمتلقي. انظر: علم الدلالة (1993م)، الطبعة الرابعة، القاهرة، مكتبة عالم الكتب، ص: 69-71. كما أن السياق يشمل سياق النص انظر: ستيفن أولمان (1986م): دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، الطبعة العاشرة، القاهرة، مكتبة الشباب، ص: 62.
- cvi ( عبد الرؤوف سعيد عبد الغني، اللبدي، رسائل لم يحملها البريد، <http://www.almajaida.com>
- cvi ( دلائل الإعجاز، ص: 141.
- cix ( الشعراء: 23-27.
- cx ( الشعراء: 16.
- cx ( الشعراء: 28.
- cxii ( مفتاح العلوم، ص: 310-312.
- cxiii ( النازعات: 24.
- cxiv ( الشعراء: 29.
- cxv ( انظر: محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص: 291.
- cxvi ( انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 311.
- cxvii ( طه: 49.
- cxviii ( طه: 50.
- cxix ( انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 311-312.
- cx ( انظر: السبكي، عروس الأفراح، ص: 251-250.
- cxxi ( آل عمران: 37.
- cxix ( البقرة: 322.
- cxix ( انظر: القزويني، الإيضاح، ص: 136-137. ومحمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص: 292.
- cxix ( الفرزدق، هام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي (1987م): ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ على فاعور، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ص: 312.
- cxix ( انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 313.
- cxix ( انظر: ابن هشام الأنصاري (2000 م): مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق د. عبد اللطيف محمد الخطيب، الطبعة الأولى، الكويت، التراث العربي، ص: 49-48/3.
- cxix ( البقرة: 249. وردت صيغة (كم من--)) في القرآن 13 مرة بقصد التأكيد، ولم ترد في المعلقات إلا مرتان، مرة في معلقة زهير بن أبي سلمى، حين قال: وكم بالقنان من محل ومحرم، ومرة في معلقة في معلقة لبيد بن أبي ربيعة، حين قال: كم من ليلة طلق لذيد لهما، وندامها، الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص: 183، 136.
- cxix ( انظر: المرجع نفسه، ص: 314.
- cxix ( المبرد، الكامل، ص: 1/313.
- cxix ( انظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 139.
- cxix ( الإسراء: 40.
- cxix ( انظر: دلائل الإعجاز، ص: 114-115.
- cxix ( انظر: مفتاح العلوم، ص: 316. والإيضاح في علوم البلاغة، ص: 138-139.
- cxix ( الإسراء: 43-39.
- cxix ( النحل: 59.
- cxix ( الصافات: 149-155.
- cxix ( النجم: 22.
- cxix ( محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، شرح ديوان جرير، ص: 98.
- cxix ( انظر: محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب دراسة بلاغية، ص: 218-217.

- 
- cxl ( المرجع نفسه, ص: 217-218.  
cxli ( انظر: المرجع نفسه, ص: 217-218.  
cxlii (الأنبياء: 62  
cxliiii ( الأنبياء: 63  
cxliv (انظر: الجرجاني, دلائل الإعجاز, ص: 114.  
cxlv (انظر: الإيضاح في علوم البلاغة, ص: 138.  
cxlvi (انظر: الجرجاني, دلائل الإعجاز, ص: 113.  
cxlvii ( يوسف: 90